

مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتمجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في متعلقيه ومسأله حتى إن كان أصحابه (ليستجلبونهم)^(١) في المنطق، ويقول: إذا رأيتم صاحب حاجة فأزفدوه^(٢)، ولا يقبل الشاء إلا من مكافئ^(٣)، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز^(٤) فيقطع بهي أو قيام^(٥).

قال: فسألته كيف كان سكوتك؟ قال: «كان سكوتك على أربع: الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير؛ فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأما تذكره - أو قال: تفكره - فقيما يبقى ويفنى، وجمع له ﷺ الحلم والصبر، فكان لا يعضبه شيء ولا يستغفزه، وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسنى والقيام لهم فيما جمع لهم الدنيا والآخرة ﷺ».

وقد روى هذا الحديث بطوله الترمذي في الشمائل عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سألت خالي.. فذكره، وفيه حديثه عن أخيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب. وقد رواه البيهقي في الدلائل عن الحاكم بإسناده عن الحسن قال: سألت خالي هند بن أبي هالة.. فذكره، كذا ذكر الحافظ ابن كثير في البداية (٣٣/٦) قلت: وساق إسناد هذا الحديث الحاكم في المستدرک (٦٤٠/٣) ثم قال... فذكر الحديث بطوله. وأخرجه أيضاً الروياني والطبراني وابن عساكر كما في كنز العمال (٣٢/٤) والبغوي كما في الإصابة (٦١١/٣)، وفيما ذكر في الكنز في آخره: وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسنى لينقذ به، وترك القبيح ليتناهى عنه، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته، والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة. وهكذا ذكره في المجمع (٢٧٥/٨) عن الطبراني.

٧ - الآثار في صفة الصحابة الكرام رضي الله عنهم

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في قوله تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ»^(١) قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو شاء الله لقال: «أنتم» فكنا كلنا ولكن قال: «كنتم» خاصة في أصحاب محمد ﷺ ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة

= «ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم» ومعنى العبارة الأخيرة أي أن النبي كان يسمع لمن حضر أولاً ثم لمن وليه وهكذا.

(١) في الأصل (ليستجلبونهم) والتصويب من «كنز العمال» (٣٣/٤) والمعنى كما قال فضيلة الشيخ «إنعام الحسن» أن الصحابة كانوا يستجلبون الغريب إلى المجلس الأقدس.

(٢) أزفدوه: أعينوه، وفي الكنز (٣٣/٤): فأرشدوه.

(٣) يجوز: أي يتجاوز عن الحد.

(٤) في الأصل «بانتهاه أو قيام» والصواب ما أثبتناه.

(٥) [٣] سورة آل عمران/ ١١٠.

أخرجت للناس»، وعند ابن جرير عن قتادة رضي الله عنه قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» - الآية، ثم قال: يا أيها الناس! مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ^(١) فليؤدِّ شرطاً لله منها. كذا في كنز العمال (١/٢٣٨).

وأخرج أبو نعيم في الحلية (٣٧٥/١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الله نظر في قلوب العباد فاختر محمدًا ﷺ فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه. ثم نظر في قلوب الناس بعده فاختر الله له أصحاباً فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه ﷺ، فما رآه المؤمنون^(٢) حسناً فهو حسناً وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح». وأخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب (٦/١) عن ابن مسعود رضي الله عنه بمعناه ولم يذكر: (فما رآه المؤمنون - إلى آخره). وأخرجه الطيالسي (ص ٣٣) أيضاً نحو حديث أبي نعيم.

وأخرج أبو نعيم أيضاً عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «من كان مُسْتَنَافاً فَلْيَسْتَنْ بِمَنْ قَد مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبْرَاهَا قُلُوباً وَأَعْمَقَهَا عِلْماً وَأَقْلَهَا تَكْلِفاً، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُخْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَثَقَلِ دِينَهُ، فَتَشْبَهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ؛ فَهَمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ وَاللَّهُ رَبُّ الْكَعْبَةِ»، كذا في الحلية (٣٠٥/١).

وأخرج أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أنتم أكثر صياماً وأكثر صلاةً وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيراً منكم، قالوا: لم يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هم كانوا أزهقاً في الدنيا وأرغب في الآخرة؛ كذا في الحلية (١/١٣٦). وأخرج أيضاً عن أبي وائل قال: «سمع عبد الله رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟ فقال عبد الله: أولئك أصحاب الجابية^(٣)، اشترط خمس مائة من المسلمين أن لا يرجعوا حتى يُقْتَلُوا، فحلَقُوا رُؤُوسَهُمْ وَلَقُوا الْعَدُوَّ فَقَتَلُوا إِلَّا مَخْبِرَ عَنْهُمْ؛ كَذَا فِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ (١/١٣٥).

(١) في تفسير ابن كثير عن ابن جرير عن عمر مثله وفيه من سره أن يكون من هذه الأمة الخ والظاهر أن الصواب من تلك الأمة. وقد وجد في «كنز العمال الجديد» (٢/٢٤٢) بهذا اللفظ قلله الحمد.

(٢) المؤمنون: المراد بالمؤمنين هنا هم الصحابة رضي الله عنهم لأنهم كلهم عدول أو مجتهدو الأمة لا عوام المؤمنين.

(٣) الجابية: قرية في حوران - من بلاد الشام - بين جاسم ونوى، كانت مركزاً للجيش الإسلامية في عهد عمر، وكان عمر رضي الله عنه يأتي إليها إذا قدم الشام ويخطب بها، وهي الآن خربة عندها تل كبير وعين ماء. وحادث الجابية هذا وقع أثناء فتح بلاد الشام وكان ابن مسعود في جملة من حضر المعارك في بلاد الشام.

وأخرج أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟ فأراه قبر النبي ﷺ وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، فقال: «عن هؤلاء تسأل»، كذا في المحلية (٣٠٧/١).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي أراكة يقول: ضلّيت مع علي رضي الله عنه صلاة الفجر، فلما انقفلت عن يمينه نكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رُمح صلي ركعتين ثم قلب يده فقال: «والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم!! لقد كانوا يضحون صفراً، شغناً، خُبراً، بين اغنيهم كأمثال ركب الجفزي^(١) قد باتوا لله سجداً وقياماً، يتلون كتاب الله، يراوحون^(٢) بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا^(٣) كما يجيد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تنبل ثيابهم، والله فكان القوم باتوا غافلين!!»، ثم نهض فما رُئي بعد ذلك مُفتراً يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق، كذا في البداية (٦/٨). وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية (٧٦/١) والدينوري والمسكزي وابن عساكر كما في الكنز (٢١٩/٨).

وأخرج أبو نعيم (٨٤/١) أيضاً عن أبي صالح قال: دخل ضرار بن ضمرة الكنانني على معاوية فقال له: صفت لي علياً، فقال: أوتعفتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أغفبك، قال: «أما إذ لا بد فإنه كان - والله - بعيد المدى، شديد القوى، يقول فضلاً ويحكم هدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان - والله - عزيز الغيرة^(٤)، طويل الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يفتجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جش^(٥)، كان - والله - كأخذنا يذنبنا إذا أتينا، ويحببنا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبه له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا يياس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيت في بعض مواقفه - وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه - يميل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ^(٦) يتململ السليم^(٧)، ويكي

(١) ركب: جمع ركة، ويقال: فلان بين عينيه مثل ركة العز من أثر السجود. «السان العرب».

(٢) وفي الكنز (٢١٩/٨): يراوحون.

(٣) مادوا: أي نحركوا.

(٤) الغيرة: الدمة.

(٥) ما جش: ما غلظ وخشن.

(٦) يتململ: يضطرب ويتقلب.

(٧) السليم: الملدوغ.

بكاء الحزين، فكأنني أسمعُه الآن، وهو يقول: يا ربنا، يا ربنا، يتضرعُ إليه، ثم يقول للدنيا: إني تمررت؟ إني تشوفت^(١)؟! هيهات هيهات، عُرِي غَيْرِي، قد بنتك^(٢) ثلاثاً، فعمرك قصير، ومجلسك حقيق، وخطرك يسير، أه من قلة الرزاد ويُعدي السفرِ ووَخْشَةِ الطريقِ!! فوكفت دموعَ معاويةَ على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه - وقد اختنق القوم بالبكاء - فقال: «كذا كان أبو الحسن رحمه الله، كيف وجدك^(٣) عليه يا ضرار؟» قال: «وجد من ذُبُحٍ واجدها في حجرها لا ترقأ^(٤) دمعها ولا يسكنُ حزنها»، ثم قام فخرج. وأخرجه أيضاً ابن عبد البر في الاستيعاب (٤٤/٣) عن الحرمازي - رجل من همدان - عن ضرار الصُدثاني بمعناه.

وأخرج أبو نعيم عن قتادة قال: سئل ابنُ عمر رضي الله عنهما هل كان أصحابُ النبي ﷺ يضحكون؟ قال: «نعم والإيمانُ في قلوبهم أعظمُ من الجبال»، كذا في الحلية (١/٣١١). وأخرج هناد عن سعيد بن عمر القرشي أن عمر رضي الله عنه رأى زففة^(٥) من أهل اليمن رحالهم الأدم^(٦) فقال: «مَنْ أَحَبُّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَيْءٍ كَانُوا بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَؤُلَاءِ»، كذا في كنز العمال (١٦٣/٧).

وأخرج الحاكم في المستدرک (٢٦٤/٣) عن أبي سعيد المقبري قال: لما طعن^(٧) أبو عبيدة رضي الله عنه قال: يا معاذ! صل بالناس، فصلى معاذ بالناس ثم مات أبو عبيدة بن الجراح فقام معاذ في الناس فقال: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبةً نصحاً فإن عبد الله لا يلقى الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يَغْفِرَ له. ثم قال: إنكم أيها الناس قد فحمتُم برجلِ الله ما أزعَمَ أني رأيتُ من عبادِ الله عبداً قطُّ أقلُّ جُمراً^(٨)، ولا أبرُّ صدراً، ولا أبعدُ غائلةً^(٩)، ولا أشدُّ حياً للمعاقبة، ولا أتضحُّ للعامةِ منه، فترحموا عليه ثم

(١) تشوف إليه: أطلع.

(٢) بنتك ثلاثاً: طلقك ثلاثاً مطلقاً باتاً.

(٣) وجدك: حزنتك.

(٤) لا ترقأ: لا تسكن ولا تنقطع.

(٥) الزففة: الجماعة ترافقهم في سفرك بغض الرأه وكسرهما والجمع (رفاق).

(٦) الأدم: الجلد المدبوغ.

(٧) طعن: أصيب بالطاعون، وذلك في طاعون غمّاس ١٨ هـ. وغمّاس قرية بالشام يقرب القدس وكانت قديماً مدينة عظيمة.

(٨) جُمراً: الحقد والضغن.

(٩) غائلة: امرأة داهياً منكراً، والمعنى أن أبا عبيدة رضي الله عنه كان بعيداً عن إيقاع الغوائل بالناس.

أَصْحِرُوا^(١) للصلاة عليه فوالله لا يلبي عليكم مثله أبداً . فاجتمع الناس وأخرج أبو عبيدة رضي الله عنه وتقدّم معاذ رضي الله عنه فصلّى عليه حتى إذا أتى به قبره دخل قبره معاذ بن جبل وعمّرو بن العاص والضّمحاك بن قيس ، فلما وضّعوه في لحده وخرجوا فشنّوا عليه التراب فقال معاذ بن جبل : يا أبا عبيدة ، لأنّين عليك ولا أقول باطلاً أخاف أن يلحقني بها من الله ممّت ، كنت - والله - ما علمت من الذاكرين الله كثيراً ومن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقترؤا وكان بين ذلك قواماً ، وكنت والله من المحبّين^(٢) ، المتواضعين الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويغيثون الخائنين المتكبرين .

وأخرج الطبراني عن رمعي بن خراش قال : استأذن عبد الله بن عباس على معاوية رضي الله عنهم وقد علقت عنده بطون قريش^(٣) وسعيد بن العاص جالس عن يمينه فلما رآه معاوية مقبلاً قال : يا سعيد ، والله لألقين على ابن عباس مسائل يغيى بجوابها ، فقال له سعيد : ليس مثل ابن عباس يغيى بمسائلك . فلما جلس قال له معاوية : ما تقول في أبي بكر؟ قال : رحم الله أبا بكر كان - والله - للقرآن تالياً ، وعن السيل نائياً ، وعن الفحشاء ساهياً ، وعن المنكر ناهياً ، وبدينه عارفاً ، ومن الله خائفاً ، وبالليل قائماً ، وبالنهار صائماً ، ومن دنياه سالماً ، وعلى عدل البرية عازماً ، وبالمعروف أميراً وإليه صائراً ، وفي الأحوال شاكراً ، والله في العدو والروح^(٤) ذاكراً ، ولنفسه بالمصالح قاهراً ، فاق أصحابه ورعاً وكفافاً وزهداً وعفافاً ويزاً وجياطةً وزهادةً وكفاءةً ، فأعقب الله من ثلثه^(٥) اللعائن إلى يوم القيامة .

قال معاوية : فما تقول في عمر بن الخطاب؟ قال : رحم الله أبا حفص كان - والله - خليف الإسلام ، وأوى الأيتام ، ومحل الإيمان ، ومعاذ الضّعفاء ، ومفقل الخنفاء ، للمخلق حصناً ، وللناس عوناً ، قام بحق الله صابراً محتسباً حتى أظهر الله الدين وفتح الديار ، وذكر الله في الأقطار والمناهل وعلى التلال وفي الضواحي والبقاع ، وعند الخنى^(٦) وقوراً ، وفي

(١) أصحروا : اخرجوا إلى الصحراء .

(٢) أحببت : خشع وتواضع .

(٣) علقت عنده بطون قريش : جلسوا عنده ولازموا مجلسه .

(٤) العدو : البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . الروح : العشي أو من الزوال إلى الليل .

(٥) ثلثه : ألحق به العيب ونقصه .

(٦) الخنى : الفحش في القول .

الشدة والرخاء شكوراً، والله في كل وقت وأوانٍ ذكوراً، فأعقب الله من يتبعضه المعنة إلى يوم الحسرة».

قال معاوية رضي الله عنه: فما تقول في عثمان بن عفان؟ قال: «رحم الله أبا عمرو، كان - والله - أكرم الخفنة، وأوصل البرزة وأضبر العزاة، هجأداً بالأسحار، كثير الدموع عند ذكر الله، دائم الفكر فيما يغيبه الليل والنهار، ناهضاً إلى كل مكرمة، يسمي إلى كل منجية فراراً من كل موبقة، وصاحب الجيش والبئر^(١)، وختن^(٢) المصطفى على ابنته، فأعقب الله من سبب التدامة إلى يوم القيامة».

قال معاوية: فما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: «رحم الله أبا الحسن كان - والله - علم الهدى، وكهف الثقي، ومحل الحجي^(٣)، وطوذة البهاء^(٤)، ونور السرى^(٥) في ظلم الدجى^(٦)، داعياً إلى المحجة العظمى، عالماً بما في الصحف الأولى، وقائماً بالتأويل والذكرى، متعلقاً بأسباب الهدى، وتاركاً للجور والأذى، وحانداً^(٧) عن طرقات الردى، وخير من آمن وأتقى، وسيد من تقمص^(٨) وارندى، وأفضل من خجّ وسعى، وأسمح من عدل وسوى، وأخطب أهل الدنيا إلا الأنبياء، والنبى المصطفى، وصاحب القبلتين، فهل يوازيه مؤخداً؟! وروح خير النساء، وأبو السبطين، لم تر عيني مثله ولا ترى إلى يوم القيامة واللقاء، من لعنه فمليه لعنة الله والعباد إلى يوم القيامة».

قال: فما تقول في طلحة والزبير؟ قال: «رحمة الله عليهما كانا - والله - عفيفين، بزّين، مسلمين، طاهرين، متطهرين، شهيدين، عالمين، زلاً زلةً والله غافر لهما إن شاء الله بالنصرة القديمة والصحة القديمة والأفعال الجميلة».

قال معاوية: فما تقول في العباس؟ قال: «رحم الله أبا الفضل كان - والله - صينو^(٩)

(١) صاحب الجيش: إشارة إلى نهج عثمان رضي الله عنه جيش العسرة في غزوة نيوك بالكثير من ماله .
صاحب البئر: إشارة إلى شراء عثمان رضي الله عنه بئر رومة من صاحبها اليهودي . وكانت بئراً عظيمة .
وجعلها للمسلمين .

(٢) الختن: الصهر .

(٣) الحجي: العقل .

(٤) البهاء: الحسن والظرف .

(٥) السرى: السير ليلاً .

(٦) الدجى: جمع دجبة أي الظلمة أو هي مع غيم .

(٧) حانداً: مانلاً .

(٨) تقمص: لبس القمص .

(٩) الصينو: من أصل واحد .

أبي رسول الله ﷺ، وَقُرَّةَ عَيْنَيْنِ صَفِيَّيْنِ اللَّهِ، كَهْفِ الْأَقْوَامِ، وَسَيِّدِ الْأَعْمَامِ، وَقَدْ عَلَا بِصِرَاً
 بِالْأُمُورِ وَنَظَرَاً بِالْعَوَاقِبِ. قَدْ زَانَهُ^(١) جَلْمٌ، قَدْ تَلَاثَتْ الْأَحْسَابُ عِنْدَ ذِكْرِ فَضِيلَتِهِ، وَتَبَاعَدَتْ
 الْأَسْبَابُ عِنْدَ فَخْرِ عَشِيرَتِهِ، وَلَمْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ! وَقَدْ سَأَسَهُ^(٢) أَكْرَمُ مَنْ دَبَّ وَهَبَ عَبْدُ
 الْمَطْلَبِ أَفْخَزُ مَنْ مَشَى مِنْ قَرِيشٍ وَرَكِبَ^(٣)... فذكر الحديث. قال الهيثمي (١٦٠/٩):
 رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم.

(١) زانه: جملته، من الزينة.

(٢) سأسه: رباها وتعهدته.